مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد السابع والعشرون - المجلد الرابع - التاريخ - آذار 2026م
doi.org/10.52866/esj.2026.04.27.12

العمارة الإسلامية في مدينة الموصل وتطورها (521 - 630هـ / 1127 - 1233م) (دراسة في المساجد)

م.م. نور خالد صبار // الجامعة العراقية - كلية التربية - قسم التاريخ
nooraalkhalid95@gmail.com

مستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة العمارة الإسلامية في مدينة الموصل خلال العصور الإسلامية، مع التركيز على المساجد بوصفها أبرز المظاهر العمرانية والدينية التي شكّلت هوية المدينة الحضارية. إذ تميّزت الموصل بموقعها الجغرافي الإستراتيجي على الضفة الغربية لنهر دجلة، عند ملتقى الطرق التجارية والعسكرية، الأمر الذي منحها مكانة محورية في التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي لبلاد الرافدين.

أما في الجانب المعماري، فقد أبانت الدراسة عن خصوصية العمارة الدينية في الموصل، والتي تجسدت في مساجدها الجامعة الكبرى، مثل المسجد الأموي (العتيق)، والمسجد النوري الكبير، والمسجد المجاهدي. وقد عكست هذه المباني مزيجًا فريدًا من الوظيفة الدينية والجمالية، حيث تميزت بتخطيطها العمراني المنسجم مع النموذج الإسلامي المبكر، وباستخدام مواد محلية كالآجر والحجر والجص، فضلًا عن الزخارف الدقيقة والنقوش الكوفية والمآذن الأسطوانية التي منحتها هوية معمارية متفردة.

الكلمات المفتاحية: الموصل، العمارة الإسلامية ، المسجد النوري ، الزخارف.

Islamic Architecture in Mosul and its Development (521-630 AH/1127-1233 AD) A Study of Mosques

Assistant teacher Noor Khalid Saabar
Iraqi University / College of Education - Department of History

Abstract:

This research examines the development of Islamic architecture in the city of Mosul, with a particular focus on mosques as the most significant religious and urban landmarks that shaped the city's cultural identity. Mosul's strategic location on the western bank of the Tigris River, at the crossroads of major trade and military routes, granted it a pivotal role in the political, economic, and cultural history of Mesopotamia.

Architecturally, the research highlights the uniqueness of Mosul's religious buildings, represented by its major congregational mosques: the Umayyad (Ancient) Mosque, the Great al-Nuri Mosque, and the Mujahidi Mosque. These structures embodied a distinctive blend of functionality and aesthetics, characterized by urban planning inspired by the early Islamic model, the use of local construction materials such as stone, brick, and gypsum, and the incorporation of refined decorative elements, Kufic inscriptions, and cylindrical minarets that together shaped a distinctive architectural identity.

Keywords: Mosul،Islamic Architecture،al-Nuri Mosque،Ornaments.

المقدمة:

تُعدّ مدينة الموصل من أبرز الحواضر الإسلامية التي لعبت دورًا محوريًا في التاريخ السياسي والحضاري والعمراني لبلاد الرافدين. فقد تميزت بموقعها الجغرافي الاستراتيجي على الضفة الغربية لنهر دجلة، عند ملتقى الطرق التجارية والعسكرية الواصلة بين الشام والأناضول والعراق وإيران، الأمر الذي جعلها عقدة وصل بين أقاليم العالم الإسلامي. ومنذ العصور الأولى للإسلام، اكتسبت الموصل أهمية خاصة لكونها حارسًا شماليًا للدولة الإسلامية، ومركزًا حضاريًا واقتصاديًا تميز بازدهار أسواقه وصناعاته، ولا سيما صناعة المنسوجات «الموصلية» التي ذاع صيتها عالميًا.

وعلى الصعيد التاريخي، شهدت الموصل تحولات متعاقبة جعلتها مركز إشعاع حضاري متواصل؛ إذ ارتبطت جذورها بالاستقرار الزراعي منذ الألف السادس قبل الميلاد، ثم برزت بقوة في الحقبة الآشورية قبل أن تتعاقب عليها القوى الساسانية والبيزنطية، لتدخل بعد الفتح الإسلامي مرحلة جديدة اتسمت بالتمصير والتنظيم العمراني وفق النموذج الإسلامي المبكر. ومع العصور الراشدية والأموية والعباسية، اتسع عمرانها وتنوعت مؤسساتها، فبرزت فيها المساجد الجامعة، ودور الإمارة، والأسواق التي شكلت نواة الحياة الحضرية.

وقد كان للعصر العباسي وما تلاه من عهود الحمدانيين والأتابكة أثرٌ بارز في صياغة هوية الموصل المعمارية، إذ تميّزت عمارتها الدينية -خاصة المساجد- بجمال التصميم ودقة الزخارف وملاءمتها للبيئة المحلية. وتجلّى ذلك في مساجدها الكبرى مثل المسجد الأموي، والمسجد النوري، والمسجد المجاهدي، التي جسدت ملامح فن معماري إسلامي أصيل، جمع بين الوظيفة الدينية والجمالية، وأسهم في ترسيخ مكانة الموصل كإحدى أهم مراكز العمارة الإسلامية في المشرق.

ولقد قسمت البحث الى مبحثين وخاتمة، شمل المبحث الأول: الموقع الجغرافي-الجذور التاريخية والاهمية الحضارية، وتكلمت في المبحث الثاني: العمارة الإسلامية في الموصل(المساجد انموذجاً).

المبحث الأول:

الخلفية التاريخية لمدينة الموصل

1-الموقع الجغرافي واهميته الاستراتيجية:

تقع مدينة الموصل في شمال العراق على الضفة الغربية لنهر دجلة، مقابل مدينة نينوى التاريخية، وتحديدًا عند تقاطع الطرق البرية التي تربط بين بلاد الشام والأناضول من الغرب والشمال، وسهول العراق العليا من الجنوب والشرق. هذا الموقع جعل الموصل تمثّل صلة وصل مهمة بين أطراف الدولة العباسية، وهو ما أكسبها طابعًا استراتيجيًا استثنائيًا منذ العصور الإسلامية الأولى وحتى العصر العباسي. تُعد مدينة الموصل من أهم المدن الإسلامية العريقة، حيث تُعتبر إحدى كبريات حواضر العالم الإسلامي من حيث المساحة والعدد السكاني والأهمية الاستراتيجية. فهي تمثل عقدة مواصلات حيوية تربط بين أقاليم مختلفة، مما جعلها محطةً لرحال التجار والمسافرين على مر العصور. وتكمن أهمية الموصل الجغرافية في كونها تعتبر بوابة العراق الشمالية ، والممر الرئيسي الى خراسان ، ونقطة الوصل الى أذربيجان. وقد اشتهرت في المدونات التاريخية ان اعظم مدن العالم

ثلاثة: نيسابور لكونها مدخل المشرق، ودمشق لأنها مدخل المغرب، والموصل لموقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يجعلها محطة وصل بين الجزيرة والعراق[1].

وقد اختلفت تسميات مدينة الموصل بين المؤرخين وأبرزها هي: اشتقاق الاسم من دَور المدينة في الوصل بين الجزيرة والعراق ، وقيل لأنها وصلت بين بلد وسنجار، او لأنها تربط بين دجلة والفرات، وقيل ان التسمية تعود لملك أسسها يدعى «الموصل»[2].

وقد وصفها الجغرافي ابن حوقل بأنها «مدينة عظيمة، حسنة، في طرف الشام من ناحية العراق، على دجلة»، وأضاف أن أرضها خصبة، وسهولها زراعية، وماؤها جارٍ، مما جعلها مركزًا عمرانيا مهمًا[3].

أما المقدسي فقد أشاد بموقعها وتخطيطها، وأشار إلى حسن عمرانها، وتوفّر المياه والأسواق، ما جعلها «من أطيب بلاد الجزيرة[4]. كانت الموصل نقطة ارتكاز مهمة للدفاع عن الدولة العباسية من ناحية الشمال والشمال الغربي، ضد هجمات البيزنطيين أو قبائل الحدود. فقد تمركزت فيها قواعد عسكرية ومستودعات للجند، كما انطلقت منها حملات باتجاه منطقة الثغور الشمالية، واتخذها بعض القادة العباسيين مركزًا لتمركزهم، مثل يحيى بن محمد[5]، الذي حكمها بقوة وجعلها قاعدة خلفية لدعم السلطة المركزية[6].

نظرًا لموقعها الحدودي، كانت الموصل مركزًا لولاية مهمة يُعيَّن لها ولاة أقوياء من قِبَل الخلفاء العباسيين فقد لعبت المدينة دور «الحارس الشمالي» للدولة العباسية، مما منحها وضعًا خاصًا بين ولايات الدولة. سهل موقعها الجغرافي التواصل المستمر مع العاصمة العباسية بغداد اذ نُقلت من خلالها الأموال والبضائع والكتب والعلماء، ما جعلها واسطة بين قلب الدولة العباسية ومحيطها الخارجي.عبرت قوافل البضائع نهر دجلة نحوها، محملة بمنتجات الشرق، وكانت تُعاد توزيعها نحو الشمال والشام واشتهرت بأسواقها المتخصصة: سوق الوراقين، سوق الجلود، سوق النحاسين تطورت فيها صناعة النسيج والصوف، خصوصًا ما عُرف بـ«الموصلية»، وهو نوع فاخر من الأقمشة

(1) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت:626هـ/ 1447م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، (بيروت، 1995)، 5/ 223.

(2) ابن الفقيه، أبو عبدالله احمد بن محمد بن إسحاق (ت:365هـ/ 976م)، البلدان، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، (بيروت، 1996)، ص176.

(3) محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت:367هـ/ 978م)، صورة الأرض، دار صادر، (بيروت، 1938)، ص 215-214.

(4) أبو عبدالله محمد بن احمد (ت:380هـ/ 990م) ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3، مكتبة مدبولي، (القاهرة، 1991)، ص140-139.

(5) يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس احد افراد البيت العباسي الكبار وعم الخليفة أبو العباس السفاح عين والياً على الموصل في عهد أبو العباس السفاح وقد لعب دوراً كبيراً في ترسيخ السلطة العباسية في شمال العراق توفى عام (135هـ). ينظر: البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت:279هـ/ 892م)، انساب الاشراف، تح: سهيل زكار-رياض زركلي، ط1، دار الفكر، (بيروت، 1996)، 4/ 378-377.

(6) صالح، عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، المجلة العربية الثقافية، مج 26 ، العدد (50) ، تونس، 2007م ، ص31؛ الديوه جي، قلعة الموصل، مجلة سومر ، مج 10 ، العدد (1)، بغداد، 1954م ، ص 1.

صدرته إلى دول أخرى[1].

2- الجذور التاريخية والاهمية الحضارية:

تُمثل مدينة الموصل القديمة النواة التاريخية والحضارية للمدينة المعاصرة، إذ تقع ضمن مساحة محدودة تشغل نحو 5٪ من المساحة الكلية لمدينة الموصل الحالية، وتحديدًا في الرقعة الجغرافية المحصورة بين الضفة اليمنى لنهر دجلة شرقًا، والأسوار الأثرية القديمة التي تُحيط بها من الجهات الأخرى، والتي تتخذ شكلًا نصف بيضوي. وتُعد هذه المنطقة نواة النشأة الأولى للموصل ومركز إشعاعها الحضاري[2].

إنَّ العمق الحضاري للموصل القديمة ليس وليد العصور التاريخية فقط، بل يمتد إلى ما قبلها، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في موقع قليعات[3] عن بقايا قرية زراعية تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد، ما يدل على استقرار مجتمعات زراعية بدائية في هذا الموضع المبكر. وتُعد هذه القرية من أوائل المستوطنات الزراعية في منطقة الموصل، حيث أسهمت في انتقال الإنسان من نمط الحياة القائم على التنقل وجمع القوت، إلى مرحلة الاستقرار الزراعي وإنتاج الغذاء[4].

وخلال العصور التاريخية المبكرة، ازدهرت الإمبراطورية الآشورية على الضفة الشرقية المقابلة للموصل، حيث أسس الآشوريون عاصمتهم نينوى. وقد شيدوا قلعة استراتيجية على موقع «قليعات» في غرب النهر، لتكون بمثابة حصن دفاعي يحمي العاصمة من الغرب، ما يعكس الأهمية العسكرية والحضارية التي كانت توليها القوى السياسية آنذاك للضفة اليمنى لدجلة، والتي أصبحت لاحقًا نواة لمدينة الموصل[5].

أُطلق على الموصل في حقبة ما قبل الإسلام، ووفقًا لما دوّنه الكتبة الآراميون، اسم «حصن عبرايا»، ويُقصد به «الحصن الغربي»، في إشارة إلى موقعها على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل العاصمة الآشورية نينوى. وقد طال هذا الحصن دمارٌ شامل أعقب انهيار الدولة الآشورية إثر اجتياح الميديين والكلدانيين عام (612 ق.م)، الأمر الذي أدى إلى انقطاع حضاري مؤقت. ومع عودة الاستقرار تدريجيًا إلى المنطقة، بدأ بعض السكان بالرجوع إلى الحصن، فعُمرت أنقاضه وشهدت المنطقة المحيطة به نشاطًا عمرانيًا ملحوظًا، خاصةً خلال القرن الرابع قبل الميلاد، مما يشير إلى استعادة تدريجية للحياة الحضرية. وخلال القرنين الخامس والسابع الميلاديين، أصبحت الموصل ساحة صراع بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية. وقد مالت الكفة في البداية لصالح الفرس الساسانيين، إلا أن المواجهات انتهت بسيطرة البيزنطيين على المدينة عام (628م). غير أن هذا النفوذ لم يدم طويلاً، إذ دخلها المسلمون الفاتحون سنة 16هـ / 637م، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، لتبدأ

(1) غنيمة ، يوسف رزق الله ،تجارة العراق قديمًا وحديثاً ، ط1 ، مطبعة العراق ، (بغداد ، 1923)، ص53-50.

(2) أبو الصوف، بهنام ، من الكهف الى القرية ، موسوعة الموصل الحضارية ، 30/ 1.

(3) قليعات: من التلول التي تشرف على غربي نهر دجلة في مدينة الموصل وكان يسمى بـ (الحصن الغربي). ينظر: ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد عزالدين (630هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، تح: تح: عمر عبدالسلام تدمري، ط1، دار الكتاب، (بيروت، 1997)، 349/ 2 .

(4) الجمعة، احمد قاسم، الدلالات المعمارية وتجذيرها الحضاري،موسوعة الموصل الحضارية ط1، دار الكتب، (الموصل، 1992)، 336-320/ 3.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، دار الهلال، (بيروت، 1988)، ص 327.

بذلك مرحلة جديدة في تاريخها الحضاري[1].

تشير المصادر التاريخية إلى أن الموصل في ذلك الحين كانت تضم أحياء سكنية متنوعة، احتضنت قبائل عربية مثل بكر وتغلب وإياد والنمر، إلى جانب وجود حي خاص بالعرب النصارى شمال منطقة قليعات، وحي آخر لليهود إلى الغرب منها وتعكس هذه التركيبة الاجتماعية التنوع الديني والإثني الذي اتسمت به المدينة في ذلك العصر[2].

ومع دخولها تحت الحكم العربي الإسلامي، شهدت الموصل نقلة نوعية في بنيتها الحضرية والمعمارية. فقد تم تمصير المدينة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، عبر واليها هرثمة بن عرفجة البارقي[3]، الذي اختار منطقة تل قليعات لتكون النواة المركزية للمدينة الجديدة. وقد تم تشييد المسجد الجامع ودار الإمارة والأسواق حول مركز المدينة، فيما توزعت الأحياء السكنية في محيطها، على النحو الذي تميزت به المدن الإسلامية الأولى مثل البصرة والكوفة والفسطاط[4].

ويتضح من هذا النمط التخطيطي تأثره المباشر بتوصيات الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، المستندة بدورها إلى النموذج النبوي في المدينة المنورة، حيث بُني المسجد النبوي وبيت النبي ﷺ، ونُقل السوق إلى الجهة الغربية من المسجد. وقد أصبح هذا التخطيط معيارًا يُحتذى به عند تأسيس الأمصار الجديدة أو إعادة تنظيم المدن القائمة، مما عزز الهوية العربية الإسلامية لمدينة الموصل وأكسبها طابعًا عمرانيًا متمايزًا ظل حاضرًا على امتداد عصورها اللاحقة[5].

وهذا الترابط بين الوحدات الثلاث لمركز المدينة العربية الإسلامية جاء لأهميتها العامة للناس كافة ، فالمسجد الجامع كان يؤدي وظائف متعددة وذلك لشمولية تعاليم الدين الإسلامي لكل أنماط الحياة ، أما دار الإمارة فتميزت أهميتها لا لكونها تمثل مسكناً لعائلة ممثل الخليفة فحسب ، بل لكونها تضم مؤسسات الدولة الإدارية والمالية ، في حين تعد الأسواق مركزاً لنشاط السكان الاقتصادي[6].

هذا وغدت مدينة الموصل في العصر الراشدي قاعدة متقدمة للفتوحات الإسلامية. فمن مسجدها الجامع خرجت الجيوش لفتح أرمينيا وأذربيجان في عهد الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)[7] .

وفي العصر الأموي حدثت حركة ازدهار للحياة الإدارية والاقتصادية والثقافية سرعان ما غدت الموصل من المراكز الحضارية المهمة في العالم

(1) ابي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت:732هـ/ 1332م)، تقويم البلدان (د.ط)، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص285.

(2) الملاح ، هاشم يحيى ،تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج 2 ، ص 30.

(3) هرثمة بن عرفجة الازدي البارقي اول من مصر الموصل في أيام عمر بن الخطاب واسكنها العرب . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ،ص 323.

(4) قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج (ت:337هـ/ 949م) ، الخراج وصناعة الكتابة، ط1، دار الرشيد، (بغداد، 1981)، ص382.

(5) الديوه جي، سعيد، جوامع الموصل في مختلف العصور، ط1، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، 2014)، ص 6.

(6) الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، (د.ط)، دار الرشيد، (بغداد، 1982)، ص 225.

(7) الجمعة، احمد قاسم، المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل، مجلة آداب الرافدين ، العدد (16)، 1986م ، ص321.

العربي الإسلامي بفعل عناية الخلفاء الأمويين بها، واختيارهم أفضل الولاة الإدارتها ، وتمخض ذلك عن نهضة عمرانية شاملة ومشاريع عامة. فقد نهض الوالي سعيد بن عبد الملك[1] بإحاطة المدينة بسور واستحداث سوق كبير وإعادة اعمار دير مار إيليا في جنوبها[2]، كما قام لوالي الحر بن يوسف[3] والوالي الذي أعقبه الوليد بن تليد[4] في خلافة هشام بن عبد الملك بتحويل مجرى نهر دجلة إلى مجراه الحالي بمحاذاة السور من الجهة الشرقية بين سنتي (121-108هـ/ 738-726م)، كما نهض الحر ببناء قصره المعروف بالمنقوشة لكثرة زخارفه واتخذه دار إمارة، له، وأقام مروان بن محمد أول جسر للمدينة يربطها بالجانب الشرقي ، أي نينوى الذي كان يتكون من عدة سفن مربوطة ببعضها، ووسع المسجد الجامع بحيث غلب عليه اسم (المسجد الأموي)، كما كثرت المباني المنفردة خارج سور المدينة المعروفة بـ (الصوالح) بفعل توسع المدينة وازدياد سكانها والعمران فيها[5].

شهدت مدينة الموصل نقلة حضارية نوعية خلال العصر العباسي (656-132هـ/ 749-1258م)، لا سيما بعد انتقال مركز الخلافة إلى العراق، الأمر الذي أفضى إلى تعزيز دور المدينة إداريًا واقتصاديًا وعمرانيًا. وقد تجسدت هذه الطفرة الحضارية في بداية العصر العباسي بتطوير مؤسسات الإدارة المركزية، واستحداث نظام الوزارة، وإنشاء عدد من الدواوين المتخصصة. كما عُني الخلفاء بتعيين ولاة من أصحاب الكفاءة والنزاهة، ومن أبرزهم إسماعيل بن علي، عم الخليفة أبو جعفر المنصور، الذي اضطلع بتوسعة المسجد الجامع في الموصل، وإنشاء عدد من المباني التجارية مثل الأسواق والفنادق (الخانات)، مما ساهم في ترسيخ مكانة المدينة كمركز تجاري مهم. ومن مظاهر التنظيم الحضري في تلك المرحلة نقل المقبرة العامة إلى منطقة صحراوية خارج أسوار المدينة، بعد أن شهدت توسعًا ملحوظًا نحو الغرب[6].

ومع نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، دخلت الدولة العباسية طورًا من اللامركزية السياسية، وهو ما أتاح للموصل

(1) سعيد بن عبد الملك بن مروان من امراء بني مروان من اهل دمشق حسن السيرة متعبدا ولي الغزو في خلافة أخيه هشام وولي فلسطين للوليد وكان عاملاً على الموصل توفى عام 132هـ. ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:256هـ/ 870م) ، التاريخ الكبير (د.ط)، دائرة المعارف العثمانية، (حيدرآباد، د.ت)، 3/ 497.

(2) الازدي ، ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس(ت:334هـ/ 946م)، تاريخ الموصل ، تح: علي حبيبة (د.ط)،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة،1967)، 2/ 26-27.

(3) الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الاموي امير مصر ثم الموصل من اجل امراء بني امية ومن اهم اعماله قصر المنقوشة الذي توفى به عام (113هـ). ينظر: ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله كمال الدين (ت:660هـ/ 1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار (د.ط)، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، 5/ 258-259.

(4) الوليد بن تليد العبسي ولي امارة دمشق في أيام بني امية ثم ولي الموصل بعد وفاة الحر بن يوسف. ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت:571هـ/ 1176م) ، تاريخ دمشق ، تح:محب الدين أبو سعيد، دار الفكر، (بيروت، 1995)، 115/ 63.

(5) البغدادي، عبدالمؤمن بن عبدالحق ابن شمائل صفي الدين (ت: 739هـ/ 1339م)، مراصد الاطلاع على اسماؤ الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، (بيروت، 1991)، ص 1334-13333.

(6) الازدي ، تاريخ الموصل ، 313-197/ 2.

فرصة مضاعفة عطاءها الحضاري، خصوصًا خلال العهد الحمداني (381-293هـ / 991-905م). فقد تميز العهد الحمداني بازدهار اقتصادي لافت، انعكس في وفرة الإنتاج الزراعي وتنوعه، وتعدد الأسواق وازدهار الفنادق، إلى جانب تطور التجارة الخارجية. كما نشطت الصناعات المحلية، وكان لصناعة المنسوجات مكانة مرموقة ضمن اقتصاد المدينة[1].

وفي السياق العمراني، شهدت الموصل توسعًا شماليًا بمحاذاة ضفة نهر دجلة، ما دفع الحمدانيين إلى إنشاء مقر حكمهم الجديد المعروف بـ دار المملكة قره سراي، جنوب قلعة الموصل، واتخاذه مقرًا لإمارتهم. وقد تميزت المدينة بكثرة مساجدها ومراقدها وقصورها، كما ارتقت الفنون المعمارية فيها إلى مستوى الإبداع، عبر تقنيات متقدمة مثل الحفر المشطوف على الحجر والزخرفة الدقيقة على الجص والحجر، حتى عُرفت في ذلك العصر بلقب «الموصل البيضاء»، في إشارة إلى نقاء عمرانها وجمال طرازها المعماري[2].

شهدت مدينة الموصل أوج ازدهارها الحضاري في العصر الأتابكي (521 - 630هـ / 1127 - 1233م)، حيث اتسعت مجالات التنمية الاقتصادية، وعمّ الأمن والاستقرار، مما ساعد على اتساع عمرانها وتطورها من مختلف الجوانب. ويعود ذلك إلى أنها أصبحت عاصمة لإمارة واسعة النفوذ، وتمتعت بمركز سياسي قوي. كذلك، شهدت الموصل تطوراً في الصناعات، وخاصة في صناعة المنسوجات والملابس المطرزة، التي تميزت بالدقة والابتكار، واشتهرت عالمياً حتى أطلق الأوروبيون على هذه المنتجات اسم «الموصلين»، نظراً لجودتها العالية. وقد غزت هذه الصناعات أسواق آسيا وأوروبا على حداً سواء[3].

المبحث الثاني : العمارة الإسلامية في الموصل (المساجد انموذجاً)

1- ملامح العمارة الإسلامية في مساجد الموصل:

تُعد مدينة الموصل من الحواضر الإسلامية العريقة التي تميّزت عبر تاريخها الطويل بجمال عمرانها، وأصالة طرازها المعماري، وتنوّع عناصرها الحضارية. وقد ساهم موقعها الجغرافي الاستراتيجي الممتد بين الجزيرة والسهل حتى مشارف الجبل، ومرور نهر دجلة في وسطها، في ازدهارها العمراني وتطورها الحضاري، خاصة في العصور الإسلامية المبكرة. ومن أبرز الفترات التي شهدت فيها الموصل نهضة عمرانية لافتة، فترة العصر العباسي، حيث تهيأت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لنمو حركة البناء وتطور فن العمارة، وظهر ذلك بوضوح في الطراز المعماري للمساجد. فقد سعى المعماريون في تلك الفترة إلى تشييد مساجد تجمع بين الوظيفة الدينية والجمال المعماري، مستفيدين من الخبرات المحلية ومتطلبات البيئة[4].

وفي هذا السياق، يشير الأستاذ الدكتور عادل نجم عبو إلى أن مدينة الموصل، وحتى القرن السابع الهجري، كانت تضم ثلاثة مساجد جامعة

(1) الجميلي ، رشيد عبدالله ، الموصل في عهد الدولة الحمدانية ، موسوعة الموصل الحضارية ، 97-96/ 2.
(2) المرجع السابق نفسه ،101-99/ 2.
(3) رشاد ، عبد المنعم ،المظاهر الحضارية في الموصل في عهد الإدارة الاتابكية ، موسوعة الموصل الحضارية ، 196-194/ 2.
(4) محمد ، عماد جاسم – البدراني ، ياسين عبد اللطيف ، ام الحدباوات ، ط1، دار ماشكي ، (العراق ،2022)،ص 50.

رئيسة هي: المسجد الأموي (الجامع العتيق)، والمسجد النوري، والمسجد المجاهدي، إضافة إلى مئات المساجد الصغيرة الأخرى المنتشرة في أحياء المدينة. ورغم أن كثيرًا من هذه الأبنية قد تعرض للاندثار، فإن العناصر التخطيطية والمعمارية العامة بقيت متشابهة إلى حد كبير. ومع ذلك، فإن مساجد الموصل تميّزت بخصوصية معمارية نابعة من طبيعة المواد المستخدمة في البناء، مما منحها هوية فنية فريدة انعكست في أساليب الإنشاء وزخارف الجدران والمآذن، وتُظهر دراسة دقيقة لتفاصيل العمارة الدينية في الموصل أن المعماريين المحليين كانوا على دراية تامة بالطرائق المثلى لبناء المساجد، فاختاروا عناصر ثابتة ومتكررة تُلائم الوظيفة الدينية والبيئة الجغرافية، مع مراعاة الذوق الجمالي والتقاليد المحلية في آنٍ معاً[1].

يشير الأستاذ الدكتور أحمد قاسم الجمعة إلى أن المباني الدينية، وفي مقدمتها الجوامع، تحتل مكانة مركزية في التراث المعماري لمدينة الموصل. ويتكون الجامع الموصلّي في صورته العامة من مصلى مستطيل الشكل، ينفتح على رواق ذي ثلاثة مداخل، ويتقدمه صحن مكشوف غالبًا ما يخلو من المجنبات، إلا أن بعض النماذج تشمل أروقة جانبية ، أما المآذن، فهي من أبرز العناصر المعمارية التي تميزت بها المساجد الموصلية، وقد اتبعت في تصميمها الطراز النموذجي لمئذنة المسجد النوري الشهيرة، حيث تتكون من قاعدة مكعبة تعلوها بدن أسطواني مزخرف، ينتهي عادة بـ قمة كروية الشكل، في دلالة على الانسجام بين البساطة البنيوية والزخرفة الفنية الراقية ، وبخصوص المحراب، فإنه يأتي مجوفًا في جدار القبلة، متوسّطًا المصلى، ويحيط به أحيانًا محرابان إضافيان على الجانبين، بينما يُبنى المنبر عادةً من الرخام، على هيئة درجات مائلة ذات مجنبات، تتوَّج بمظلّة في أعلاها، مما يُضفي على التصميم توازنًا بين الجمال والوظيفة[2].

اتخذت المآذن الموصلية أشكالًا معمارية متعددة، منها: الملوية، والمثمنة، والأسطوانية، وكانت الأخيرة – ذات البدن الأسطواني المنتظم – هي الأكثر شيوعًا وانتشارًا في المدينة. وقد استُخدم هذا الطراز تحديدًا في أغلب مآذن الموصل، لِما يتمتع به من ثبات واستقرار إنشائي، إلى جانب مرونته في الزخرفة والتشكيل البنائي. ورغم أن عدد النماذج الباقية من هذه المآذن محدود، فإنها تُظهر بوضوح خصائص فنية وهندسية متميزة تنفرد بها الموصل. وتُعد الفترة الأتابكية من أهم الفترات التي تعود إليها أقدم المآذن الموصلية الباقية، وهي فترة تميزت باستخدام الآجر كمادة رئيسية في تشييد المآذن، لما يتمتع به من قابلية في التشكيل والديمومة، رغم أن الآجر لم يكن المادة الأساسية في البناء الموصلّي بشكل عام، بل استُخدم في مجالات محددة مثل تزيين الواجهات أو في الأبنية التي تتطلب خفة الوزن والمرونة في الزخرفة. ويُرجع السبب في قلة استخدام الآجر إلى توفر مادتي الحجر والصخر بكثرة في أطراف مدينة الموصل، مما جعل الاعتماد عليهما أكثر شيوعًا في عمليات البناء، لاسيما في تشييد المساجد والمآذن[3].

وقد أشار مصطفى الموسوي إلى أن الحجر كان يُستخدم بكثرة في شمال العراق، لا سيما في الموصل، بسبب توفره في المحاجر القريبة من المناطق الجبلية المحاذية للمدينة، كما أن الصخر كان يُجلب من

(1) المنشآت المعمارية، موسوعة الموصل الحضارية، 273/ 3.

(2) العمارة المعاصرة ، موسوعة الموصل الحضارية ،279/ 5.

(3) عبو ، المنشآت المعمارية ، 280/ 3.

مقالع منطقة الجزيرة الصخرية المجاورة. وفي بعض الحالات، كان المعماريون الموصلّيون يستخدمون خليطًا من الحجر، والصخر، والآجر في البناء، وفقاً لطبيعة المنشأة وموقعها وأهميتها[1].

وتدل هذه المعلومات على المرونة الإنشائية والمهارة الفنية التي تمتع بها بنّاؤو الموصل، حيث وظّفوا المواد المتاحة بذكاء، بما يتلائم مع خصوصية المناخ، وطبقات الأرض، ومتطلبات الوظيفة الدينية والجمالية للمباني، لاسيما المآذن.

2- أشهر جوامع الموصل:

1. المسجد الاموي:

يُعد أول مسجد أُسس في المدينة في صدر الإسلام، حيث كانت خطة المسلمين في بدايات الفتوحات أن يُنشئوا جامعًا في كل مدينة يفتحونها. وبناءً على هذا الأساس، يُعتبر الجامع المعروف لاحقًا باسم المسجد الأموي أول مسجد جامع بُني في الموصل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ. وقد عُهد إلى هرثمة بن عرفجة البارقي بإدارة شؤون الموصل، فأقام العرب منازلهم وحدد لهم حدود المدينة، ثم بُني المسجد في ذلك الوقت[2].

وقد نال المسجد الجامع العديد من الزيادات وشهد الكثير من التغير في البناء فيما بعد، ففي العصر الأموي (40 - 132 هـ / 660 - 749م) اهتم بالمسجد الوالي مروان بن محمد الذي الحق المدينة بالأمصار العظام وجعل لها ديوان[3]، حيث وسع عمارته وزاد فيه مئذنة ومقصورة ومطابخ لطبخ الطعام في شهر رمضان[4]. ولاهتمامه بالمسجد في تلك المدة عرف بـ (الجامع الأموي) [5]. وأصبح المسجد من السعة بحيث كان يتسع لآلاف المصلين ويتضح ذلك في حادثة قتل أهل الموصل سنة (133هـ 750م) إبان مدة حكم الوالي العباسي يحيى بن محمد[6] .

وفي سنة (167هـ/ 783م) أمر الخليفة محمد المهدي عامله على الموصل موسى بن مصعب[7] ان يدخل إلى المسجد الأسواق التي تحيط به ومواضع الطبخ التي كان بناؤها في العصر الأموي، وفيها ذكر الأزدي: «وفيها زاد المهدي في المسجد الجامع بالموصل الصفاف الدائرة بالصحن، وبلغني أن موضع الصفاف كان حوانيت وسوقاً لأهل المدينة»[8]. ولعل أكبر توسع وزيادة في الجامع كان في عصر الخليفة المهدي.أما أبواب المسجد فقد كان له أربعة أبواب تطل على الأسواق، فالباب الشمالي كان يؤدي إلى سوق البزازين ثم إلى سوق الداخل، أما الباب الجنوبي فكان يؤدي إلى سوق السراجين مما يلي البيعة، والباب الغربي تحت المنارة - في حين كان الباب الشرقي يؤدي إلى جهة النهر[9].

أما حالة المسجد في مدة حكم الحمدانيين والعقيليين، فان معلوماتنا عن عمارته تكاد تكون مقتضبة حيث ان المصادر التاريخية لم تسعفنا بأية إشارات مهمة تناولت أعمال التجديد، لكن يمكننا

(1) العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص247.
(2) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 331.
(3) الحموي ، البلدان، 223/ 5.
(4) الازدي ،تاريخ الموصل، 145/ 2.
(5) الحموي ، البلدان، 224/ 5.
(6) ابن الاثير ، الكامل ، 443/ 5.
(7) موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي مولاهم قائد عباسي ووالي الجزيرة والموصل ومصر توفى (168هـ). ينظر: ابن تغري بردي، ابي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت:874هـ/ 1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (مصر ،د.ت)، 54/ 2.
(8) تاريخ الموصل / 145/ 2.
(9) الديوه جي ، جوامع الموصل ،ص20-19.

الاستدلال على حالته من خلال الوضع العام لتلك العهود التي تدلنا بشكل أو بأخر إلى وضع الجامع آنذاك.

ففي العصر الحمداني (1367-23هـ / 905 - 977م) توسعت الموصل وكثر عمرانها وأسواقها وفنادقها وحماماتها مما يدل على اهتمام الحمدانيين بالبنيان والتعمير وقد أعطى ابن حوقل وصف يشير فيه إلى الرفاهية والاهتمام بالمدينة[1]. أما العصر العقيلي (486-368هـ / 978 - 1127م) فقد تدهور حال المدينة بسبب الحروب وتنازع الأمراء على السلطة مما ترك تأثيراً سلبياً على العمائر وإهمال بنائها وتجديدها، وعليه فمما لاشك فيه ان التأثير قد شمل المسجد الجامع أيضاً. وفي نهاية الحكم السلجوقي (521-486 هـ / 102 - 1127م) وبداية الحكم الاتابكي تحدث لنا ابن الاثير عن وضع المسجد ووصفه في أولى أيام الشهيد عماد الدين زنكي بكونه بلا عمارة وببعده عن المدينة ومنطقة توسعها حتى ان الناس لا يقدرون المشي إليه غير يوم الجمعة[2] ، وعليه فمن النص يتضح انعزال المسجد وعدم القيام بتجديده وتعميره وتوسيعه، هذا ولم يصلنا أي تجديد وتوسيع مؤرخ في الجامع يعود لتلك الحقبة الزمنية.

وخلال الحكم الاتابكي الذي يعد من أزهى العصور جددت عمارة الجامع بدلالة محرابه المؤرخ (543هـ / 1148م) بعصر سيف الدين غازي الأول ابن عماد الدين زنكي (541- 544 هـ / 1146 - 1149م)[3] والذي نقله الشيخ محمد جرجيس القادري (1281 - 1286هـ/ 1864 - 1869م) إلى المسجد النوري وهو من أنفس المحاريب التي وصلتنا خلال ذلك العصر مصنوع من المرمر الأزرق وقوامه عمودان يعلوها عقد نصف دائري مدبب[4]. كما أن بقايا مئذنة الجامع التي استحدثت بحكم مروان بن محمد (126هـ / 743م) تعود زخارفها إلى الحكم الاتابكي لكونها تماثل زخارف مئذنة الجامع النوري (566هـ/ 1170م) التي يعود لتلك المدة. وقد وصف الرحالة ابن جبير الذي زار الموصل نافورة الجامع التي تقع وسط الصحن قائمة على سارية رخام مثمنة يخرج منها الماء بقوة[5] . مما يوضح مدى الاهتمام بعمران المسجد الجامع، وقد كان لتوسع المدينة نحو الأرباض وبناء جامعين وهما النوري في وسط المدينة، المسجد المجاهدي الذي بناه مجاهد الدين قيماز سنة (571هـ / 1175م) في الربض الأسفل أثره في التقليل من أهمية الجامع لذهاب الناس الساكنين بالقرب منهما إليهما. وقد عرف المسجد الأموي في تلك المدة بالجامع العتيق نسبة إلى الجامع الجديد (النوري). وفي نهاية الحكم الاتابكي أصبحت منطقة الجامع وما حولها من جنوبه إلى غربه مقابر عرفت بمقابر الجامع العتيق مما أثر في تقليص مساحة الجامع الأصلية وعلى الأغلب فان مساحته كانت واسعة لكونه أول وأقدم مسجد جامع بالمدينة، كما ويؤكد ذلك بعد مئذنته الواقعة في الركن الشمالي الغربي قياساً بمواقع المآذن في العراق والعالم الإسلامي[6] .

(1) صورة الأرض ، ص193.
(2) التاريخ الباهر ، ص77.
(3) غازي سيف الدين بن زنكي الملك تملك الموصل بعد ابيه واعتقل ألب أرسلان السلجوقي وكان عاقلاً حازماً شجاعاً له مدرسة كبيرة في الموصل توفى عام (544هـ).
ينظر: الذهبي ،سير اعلام النبلاء،193-192/ 20.
(4) الديوه جي ، الزخارف الرخامية في الموصل ، ص73.
(5) صورة الأرض ،ص67.
(6) الجمعة ، موسوعة الموصل ،295/ 3.

2. المسجد النوري الكبير:

يقع المسجد النوري في قلب مدينة الموصل القديمة، وتحديدًا في مركز السوق الرئيسي، على طريق رئيسي يُعد ممرًا مهمًا للقادمين والذاهبين، وتُعرف المنطقة باسم «محلة الجامع النوري». يتميز هذا الجامع بأنه من أكبر وأقدم جوامع المدينة[1]، وقد بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي[2] سنة 566هـ/ 1170م، واكتمل بناؤه سنة 568هـ/ 1172م، خلال العهد السلجوقي[3].وبنى به مدرسة للعلم واوقف عليه الأوقاف الكثيرة. وقد جاء هذا الجامع آية في الفن الإسلامي فقد زين بالزخارف والكتابات كان بعضها في الرخام المطعم وبعضها في الجص . وقد وصف أبو شامة الجامع فقال: «اليه النهاية في الحسن والابداع»[4]. وتخطيط هذا الجامع يقتصر على بيت للصلاة وصحن تنعدم فيه الاروقة الجانبية (المجنبات والمؤخرة) وفي وسطه حوض كبير من الرخام للوضوء تغطيه قبة محمولة على أعمدة رخامية، وبيت الصلاة الأصلي للجامع كبير مستطيل الشكل تغطيه قبة مزدوجة مخروطة مضلعة الشكل من الخارج ونصف كروية من الداخل قائمة على قاعدة مربعة استخدمت المقرنصات في تحويلها الى مثمن أقيم فوقه رقبة تحمل قبة هرمية ذات ستة عشر وجهاً مبنية بالاجر ارتفاعها عن الأرض 15 مترا وتحتها قبة نصف كروية يفصل بينهما فراغ والقبة الأخيرة غنية بالزخارف الجصية الجميلة ولا تقوى على مقاومة التقلبات الجوية لذا غطيت بقبة ثانية تحفظها من التلف وهذا الشكل من القباب شبيه بقباب أخرى بنيت بالموصل في القرن السابع الهجري . ومحراب هذا الجامع فريد بجماله يتوسط جدار القبلة وتعلوه نقوش جبسية دقيقة تتخللها كتابات كوفية جميلة نقلت الى المتحف العراقي . وكان سقف المصلى محمول على أعمدة ضخمة من الرخام تتكون من قطع منشورية مرتبة فوق بعضها ومزخرفة بعناصر نباتية وهندسية إضافة الى الكتابات القرآنية . ورتبت هذه الاعمدة مع العقود المدببة[5] التي تحملها باتجاه موازي لجدار القبلة مكونة من أربعة اساكيب[6] و12 بلاطة رتبت بلاطة المحراب بشكل امكن إقامة القبة فوق بلاطتين كما فصل بين الاسكوبين الثالث والرابع بجدار ذي أبواب تؤدي الى بيت الصلاة وترك الاسكوب الرابع مفتوح على الصحن. وهو تصميم جديد في عمارة المساجد . وربما كان للمناخ اثره في هذا التخطيط

(1) ياقوت الحموي ، البلدان ، 259/ 5.

(2) الملك العادل نور الدين محمود أبو القاسم بن عماد الدين زنكي صاحب الشام وديار بكر والجزيرة بالخوانيق بقلعة دمشق وخطب له بالحرمين واليمن ومصر، زاهداً فقيهاً حنفياً بنى سور دمشق وحمص وحماه وحلب وبعلبك وشيرز، وبنى المدرسة الحنفية والشافعية والرباطات والجامع النوري بالموصل، وجامع الرها وجامع بحماه وجامع في منبج ومارستان بدمشق، توفى عام (569هـ). ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، 189-184/ 5.

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ،401/ 8.

(4) الروضتين ، 694-693/ 2.

(5) العقد المدبب: هو العقد الذي يتكون من مستقيمين مائلين بزوايا معينة يتقابلان في الأعلى كما ان رجليه يتكونان من خطوط رأسية مستقيمة. ينظر: رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية (د.ط)، مطبعة مدبولي، الإسماعيلية، 2000م، ص197.

(6) الاسكوب: هو الممر الذي ينحصر بين الجدار والعمود او بين عمودين ويكون موازي لاتجاه جدار القبلة. ينظر: الياور، طلعت رشاد،العمارة الإسلامية في مصر،(د.ط)، مطبعة وزارة التعليم والبحث العلمي، (بغداد،1989)، ص66.

او ان الباني أراد ان يهيئ مكاناً للصلاة خارج اوقاتها مع الحفاظ على مقتنيات بيت الصلاة من العبث بها خارج تلك الأوقات[1]. ويتميز الجامع بمئذنته الجميلة المائلة الى الشرق وهي من أطول المآذن في العراق، اذ يبلغ طولها نحو نيف وخمسون متراً[2]. وهي مزينة بزخارف آجرية جميلة ولها طريقان يؤديان الى اعلاها احدهما من الأرض. والثاني من القسم المنشوري والطريقان لا يلتقيان داخل المئذنة وكلاهما يؤدي الى الأعلى. وهي مشيدة من الآجر وتتألف من قاعدة مكعبة وبدن اسطواني ينتهي بقمة تشبه الخوذة[3] .

3. المسجد المجاهدي:

يقع على الضفة الغربية لنهر دجلة جنوب مدينة الموصل وعلى مسافة تقارب 500 متر من باب الطوب، سُمّي بهذا الاسم نسبة إلى بانيه مجاهد الدين قيماز، واستمر يعرف بهذا الاسم حتى القرن التاسع الهجري.[4]

في القرن السادس الهجري، لم يكن في الموصل سوى جامعَين رئيسيين تُقام فيهما صلاة الجمعة، هما: المسجد الأموي والمسجد النوري، وكلاهما داخل أسوار المدينة، بينما خلت أرباض الموصل من المساجد الجامعة. وكان سكان الربض الأسفل، وهو أكبر أرباض المدينة، يعانون مشقة الوصول إلى هذين الجامعين المزدحمين بالمصلين[5].

عند قدوم مجاهد الدين إلى الموصل، أدرك هذه الحاجة الماسة، فقرر إنشاء جامع كبير في الربض الأسفل لتخفيف المعاناة عن الأهالي. اختار موقعاً مميزاً على ضفاف نهر دجلة، وبدأ تشييده سنة (572هـ/ 1176م)، مستعيناً بأمهر البنّائين والفنانين، ومنفقاً عليه أموالاً طائلة. استمرت أعمال البناء خمس سنوات، حتى صار من أبرز جوامع بلاد الجزيرة. ومع ذلك، ونظراً لاحتياج الناس، بادر إلى إكمال بناء المصلى أولاً، فأقيمت فيه صلاة الجمعة سنة 575هـ/ 1179م قبل اكتمال جميع مرافق الجامع[6].

ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة 575هـ: «وفيها قارب الجامع الذي بناه مجاهد الدين قيماز «بظاهر الموصل من جهة باب الجسر – الفراغ، وأقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة، وهو من أحسن المساجد»[7]، مما يجعل المسجد المجاهدي ثالث مسجد تُقام فيه صلاة الجمعة في الموصل. وتشير الكتابات التي كانت على جدرانه إلى أن عمارة الجامع اكتملت سنة (576هـ/ 1180م)، وهو ما أكده الرحالة الدنماركي كارستن نيبور الذي لاحظ ذلك في رحلته سنة (1180هـ-1766م).[8]

كان المسجد في بدايته أكبر مساحة مما هو عليه اليوم، واعتنى مجاهد الدين بزخرفته بأسلوب فني راقٍ، مستخدماً زخارف بارزة متقنة على مستوى واحد. وقد ضاع معظم هذه الزخارف بمرور الزمن، لكن بقيت قطعة فنية رائعة في أعلى محراب

(1) محمد، غازي رجب، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد ، د.ت)، ص 319.

(2) عواد، كوركيس، مدينة الموصل (د.ط)، مطبعة الحكومة، (بغداد، 1959)، ص10.

(3) السراج، احمد، العمارة الإسلامية خصائص وآثار (د.ط)، جامعة غزة، (فلسطين، 2015)، ص160.

(4) الديوه جي ، جوامع الموصل ، ص57-56.

(5) المرجع السابق ،ص80.

(6) الجميلي ، رشيد ، دولة الاتابكة في الموصل ،ط1، دار النهضة العربية ، (بيروت ، 1970)، ص 275.

(7) الكامل في التاريخ ،188/ 11.

(8) رحلة نيبور في العراق ، سومر، 27/ 9.

المصلى مصنوعة من الجبس، تُعد شاهداً على براعة الصنعة[1]. كما زُيّنت جدران الجامع الداخلية بآيات قرآنية مكتوبة بأنواع متعددة من الخط الكوفي، وكذلك بالخط العربي المألوف. كان الجامع في عهده أوسع مساحة مما هو عليه اليوم، وقد أولى مجاهد الدين عناية خاصة بزخرفته، فزينه بزخارف جميلة بارزة ومتقنة، جميعها على مستوى واحد، ما يعكس مهارة الصناع ودقة التنفيذ. ومع مرور الزمن، تلف معظم تلك الزخارف، غير أن قطعة فنية نفيسة ما زالت باقية في أعلى محراب المصلى، مصنوعة من الجبس، تشهد على روعة الإبداع الفني في ذلك العصر. يدل ما تبقى من الزخارف الجصية في الجامع على اهتمام مجاهد الدين قيماز البالغ بتزيين هذا الصرح بزخارف وكتابات متنوعة ودقيقة الصنع. ولم يقتصر اهتمامه على الداخل فحسب، بل شمل أيضاً المظهر الخارجي للبناء، حيث زيّن واجهاته بزخارف آجرية متقنة، فجاءت قبة المصلى مكسوة بالآجر المزلج ذي اللون الأزرق المائل إلى الخضرة، كما حُليت بعض أجزائها بزخارف آجرية ناتئة تضفي على المبنى روعة وجمالاً[2].

يتكون تخطيط الجامع المماثل بتخطيطه المسجد النوري من مصلى متألف من اسكوبين موازيين لحائط القبلة تتعامد عليها بلاطة معترضة وينعدم بالتخطيط المجنبات والمؤخرة[3]. وان معظم مؤلفات الجامع تعود للحكم الاتابكي خاصة المحراب الذي يمتاز بروعته وكبر حجمه والمبني من الحجارة تتخلله كتل جصية مطلي بطبقة ملساء من الجص مشابه للمحراب المجوف المزدوج حيث يتألف من ثلاثة محاريب متداخلة يعلو كل منها عقد مدبب واهم عقد الذي يعلو المحراب الخارجي . والمحراب الموجود في الجامع من حيث مادة الحجارة والجص فضلاً عن قبة مربعة المحراب المشيدة بالأجر الأحمر المرتكزة على قاعدة مربعة من الداخل والتي يتم الانتقال بينها الى القاعدة المثمنة وقد كان داخلها مزيناً بزخارف ونقوش وكتابات مختلفة[4]. وهي تماثل في تصميمها المعماري قبة مربعة محراب الجامع النوري[5].

(1) الديوه جي ، جوامع الموصل ، ص810.
(2) الجميلي ، الموصل ، ص276.
(3) عبو ، المنشآت المعمارية ، ص277.

الخاتمة:

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات ، بعد الاطلاع على المرويات التاريخية في طيات المصادر وجدنا ان تراث وعمارة الموصل لم يكن تطوراً آنياً بل وجد في عصور قديمة ، ولذلك دلالات شاخصة في عمارة مدينة الموصل وكانت اهم النتائج لدراستنا هي:

1- مثّلت الموصل عقدة مواصلات بين الشام والأناضول والعراق وإيران، وهو ما منحها بعدًا استراتيجيًا جعلها حارسًا شماليًا للدولة الإسلامية.

2- تمتد أصول الموصل إلى ما قبل الإسلام، حيث كشفت التنقيبات عن استيطان زراعي منذ الألف السادس قبل الميلاد.

3- عاصرت المدينة حضارات كبرى مثل الآشورية والساسانية والبيزنطية، قبل أن تدخل مرحلة التمصير الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، مما شكّل انطلاقتها الحضارية الجديدة.

4- تميزت العمارة الموصلية بقدرتها على المزج بين الطابع الديني والبعد الجمالي، مع مراعاة البيئة

(4) الجمعة ، محاريب مساجد الموصل ، ص 48.
(5) النعيمي ، فيان موفق رشيد ، خطط مدينة الموصل خلال العصور العربية الإسلامية ، ط1 ، المكتب العربي للمعارف (د.م، 2018)، ص 62.

المحلية وتوفر مواد البناء كالطين والحجر والآجر.

5- لقد أظهرت الجوامع الكبرى في الموصل «كالجامع الأموي، والجامع النوري، والجامع المجاهدي» ملامح العمارة الإسلامية بأبعادها الوظيفية والجمالية، وأثبتت قدرة المعماريين المحليين على توظيف المواد المتاحة بمهارة عالية، مع مراعاة الطابع البيئي والذوق الفني المميز للمدينة. كما أن استمرارية هذا الإرث العمراني عبر العصور الراشدي والأموي والعباسي والحمداني والأتابكي، يعكس حيوية الموصل وقدرتها على التجدد والإسهام في إثراء الحضارة الإسلامية.

6- اعتمدت في تخطيطها على النموذج الإسلامي المبكر المتمثل في المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق، مما منحها هوية عمرانية متماسكة.

7- انتشر الطراز الأسطواني للمآذن كأكثر الأشكال شيوعًا، مع تنويع في المواد بين الحجر والآجر والجص.

المصادر والمراجع:

اولاً:المصادر :

الازدي ، ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس (ت:334هـ/ 946م):

1- تاريخ الموصل ،تح: علي حبيبة (د.ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة، 1967).

ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد عزالدين (630هـ/ 1233م) :

2-الكامل في التاريخ، تح:تح: عمر عبدالسلام تدمري، ط1، دار الكتاب، (بيروت،1997).

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت:279هـ/ 892م):

3-انساب الاشراف، تح: سهيل زكار-رياض زركلي، ط1، دار الفكر، (بيروت، 1996).

4- فتوح البلدان، دار الهلال، (بيروت،1988).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:256هـ/ 870م):

5-التاريخ الكبير (د.ط)، دائرة المعارف العثمانية، (حيدرآباد، د.ت).

البغدادي ، عبدالمؤمن بن عبدالحق ابن شمائل صفي الدين (ت:739هـ/ 1339م):

6-مراصد الاطلاع على اسماؤ الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، (بيروت، 1991).

ابن تغري بردي، ابي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت:874هـ/ 1470م):

7-النجوم الزاهرة في ملوك مصر مصر والقاهرة (د.ط)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (مصر، د.ت).

ابن حوقل ، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت:367هـ/ 978):

8-صورة الأرض،دار صادر، (بيروت،1938).

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت:571هـ/ 1176م):

9- تاريخ دمشق ، تح:محب الدين أبو سعيد،دار الفكر، (بيروت، 1995).

ابن العديم ، عمر بن احمد بن هبة الله كمال الدين (ت: 660هـ/ 1262م):

10-بغية الطلب في تاريخ حلب،تح: سهيل زكار(د.ط)، دار الفكر، (بيروت،د.ت) .

ابن الفقيه ، أبو عبدالله احمد بن محمد بن إسحاق (ت:365هـ/ 976م):

11-البلدان، تح:يوسف الهادي، ط1، عالدم الكتب، (بيروت، 1996).

ابي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت:732هـ/ 1332م) :

12-تقويم البلدان (د.ط)، دار صادر، (بيروت، د.ت).

قدامة ، قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج (ت:337هـ/ 949م):

13-الخراج وصناعة الكتابة، ط1، دار الرشيد، (بغداد،1981).

المقدسي، أبو عبدالله محمد بن احمد (ت:380هـ/ 990م):

14-احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،ط3، مكتبة مدبولي، (القاهرة، 1991).

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت (ت:626هـ/ 1447م):

15- معجم البلدان، ط2، دار صادر، (بيروت، 1995).

ثانياً: المراجع:

الجميلي ، رشيد عبدالله :

16-الموصل في عهد الدولة الحمدانية ، موسوعة الموصل الحضارية، ط1، دار الكتب، منشورات جامعة الموصل، 1992م.

17- دولة الاتابكة في الموصل ،ط1، دار النهضة العربية ،بيروت ،1970م.

الجمعة، احمد قاسم،:

- العمارة المعاصرة، موسوعة الموصل الحضارية ، ط1، دار الكتب، (منشورات جامعة الموصل، 1992).

19- الدلالات المعمارية وتجذيرها الحضاري، موسوعة الموصل الحضارية ، ـط1، دار الكتب، (منشورات جامعة الموصل ،1992).

الديوه جي،سعيد :

20-جوامع الموصل في مختلف العصور، ط1، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، 2014).

رشاد ، عبد المنعم :

21-المظاهر الحضارية في الموصل في عهد الإدارة الاتابكية ، موسوعة الموصل الحضارية ،ط1،دار الكتب، (منشورات جامعة الموصل،1992).

رزق ،عاصم محمد:

22-معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية (د.ط) ، مطبعة مدبولي، (الإسماعيلية، 2000).

السراج، احمد:

23-العمارة الإسلامية خصائص وآثار(د.ط)، جامعة غزة، (فلسطين، 2015).

عبو، عادل نجم:

24-المنشآت المعمارية، موسوعة الموصل

الحضارية، ط1، دار الكتب، (منشورات جامعة الموصل، 1992).

عواد، كوركيس:

25- مدينة الموصل (د.ط)، مطبعة الحكومة، (بغداد، 1959).

غنيمة ، يوسف رزق الله :

26- تجارة العراق قديماً وحديثاً ،ط1 ،مطبعة العراق، بغداد ،1923م.

الموسوي ، مصطفى عباس:

27-العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، (د.ط)، دار الرشيد، (بغداد، 1982).

محمد، غازي رجب :

28-العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد ،د.ت).

محمد ، عماد جاسم - البدراني ، ياسين عبد اللطيف:

29-ام الحدباوات ، ط1، دار ماشكي ، (العراق، 2022).

الملاح ، هاشم يحيى :

30- تحرير الموصل وتمصيرها في عهد الراشدين، موسوعة الموصل الحضارية، ط1، دار الكتب، (منشورات جامعة الموصل، 1995).

النعيمي ، فيان موفق رشيد :

31-خطط مدينة الموصل خلال العصور العربية الإسلامية ، ط1، المكتب العربي للمعارف (د.م، 2018).

الياور، طلعت رشاد:

32-العمارة الإسلامية في مصر، (د.ط) ، مطبعة وزارة التعليم والبحث العلمي ، (بغداد،1989).

ثالثاً: المجلات:

الجمعة، احمد قاسم :

33-المميزات والتصاميم المعمارية التراثية في الموصل ، مجلة آداب الرافدين، العدد (16)، 1986م.

الديوه جي، سعيد:

34- قلعة الموصل، مجلة سومر،العدد (1) ، 1954م .

صالح، عبدالعزيز حميد:

35- القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، المجلة العربية الثقافية، العدد (50) ، 2007م.